صور المكان ودلالاته في شعر محمد سعيد العباسي قصيدة مليط أنموذجاً

The Images of the Place and its Implications in the Poetry of Muhammad Saeed Al-Abbasi Melit's Poem as a Modl

الدكتور: يوسف محمد أبكر أحمد
الدكتورة: سهام عبد الرحمن طيب الأسماء

قسم اللغة العربية جامعة غرب كردفان-السودان
yousifbelala@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/08 تاريخ القبول: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى الكشف عما يحمله المكان من رمزية ودلالات تساعد في عملية التواصل الفكري والوجداني بين القارئ والنص ، وكذلك توضيح العامل المشارك في بناء النص، فليست الأماكن المذكورة في شعر محمد سعيد العباسي مجرد مساحات هندسية متباعدة أو متقاربة بقدر ما هي عملية متكاملة في تكوين الجانب الحسي والوجداني والمعرفي عند الشاعر ، لذا يعمد هذا البحث إلى الوقوف على كل ذلك متخذاً من المنهج الوصفي التحليلي وكذلك المنهج الاستقرائي إطاراً ومساقاً لهذه الدراسة بغية الوصول إلى نتائج تقرّب ما تباعد من أفكار في ذهن القارئ.

كلمات مفتاحية:

صور المكان-المكان النيلي-المكان العربي- سعيد العباسي-مليط.

المنارة للاستشارات
ww

Abstract

This research seeks to uncover the symbolism and connotations of the place that help in the process of intellectual and emotional communication between the reader and the text, as well as clarifying the factor involved in building the text. The sensual, emotional and cognitive side of the poet, so this research aims to examine all of this, taking the descriptive and analytical as well as the inductive approach as a framework and course for this study in order to arrive at results that bring closer the divergence of ideas in the mind of the reader.

Key words:

The Image of the place - the Nile place - the Arab place .

Mohammad Saeed al-Abbasi - Mellit

مقدمة

عالج البحث في بداياته مفهوم المكان في اللغة والاصطلاح ثم درس الأبعاد التي دلّ عليها المكان في شعر محمد سعيد العباسي وما يتبع ذلك من دلالات فرعية مروراً بالصور الكثيرة التي وُجدت في شعره وما لها من دلالات مثل صورة الدابة وصورة الصحراء وصور النباتات بمختلف أنواعها بالإضافة إلى صورة الإنسان وما لها من مآلات وصور ومعاني وتحليل وأفكار ينصب كل ذلك في تعميق الصورة الدلالية التي يمكن استقراؤها من خلال تلك اللوحات العميقة الدقيقة التي رسمها شاعرنا كلماتٍ تُقرأ وتجليات كل ذلك من خلال شعره.

خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها:

إنّ المكان عند محمد سعيد العباسي يحمل دلالات عميقة تجاوزت كونه حيزاً مساحياً هندسياً فقط، كذلك كانت دلالة المكان تمثل عنده وحدة مفترضة ظل الناس يبحثون عنها منذ فترة ليست قليلة وهي وحدة وادي النيل (مصر والسودان)، كما أن صورة المكان تربطه بمجد العروبة القديم وانتصاراتها العظيمة في ذي قار وغيرها، كذلك كان المكان عنده يمثل أملاً منشوداً ودراً مفقوداً ظل يبحث عنه الشاعر.

المنارة للاستشارات
ww

أوصت الدراسة بضرورة استنطاق المكان الهندسي في الأدب العربي في عصوره المختلفة بغية الوقوف على مرمي ومقاصد الشعراء من خلال ذكرهم للأمكنة في الشعر على امتداد الزمان.

العرض:

ترجمة الشاعر:

هو محمد سعيد بن محمد شريف نور الدائم بن أحمد الطيب العباسي منشيء الطريقة السمانية بمصر والسودان .ولد بقرية عراديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض 23رمضان سنة1298هـ.[1] هاجر في صباه إلى مصر والتحق هناك بالكلية الحربية ثمّ تركها قبل أن يتخرج منها، كان صاحب ثقافة عربية واسعة قوامها حفظ القرآن ودراسة علوم العربية.[2]

وكان محباً للبادية وتقاليدها حيث ذكر تفاصيلها الدقيقة ، فذكر العيس والمطر والغمام والرعد .يعد العباسي رائداً لنهضة الشعر في السودان وزعيماً للمدرسة التقليدية فيه، توفي عام 1963م.[3]

مفهوم المكان: المكان في اللغة

لا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظة مكان من معنى، ويعد "لسان العرب "لابن منظور، أكثر هذه المعاجم عرضا وتفصيلا لهذه الصيغة حيث قال: **الكَوْنُ** : الحَدَثُ ، وقد كان كَوْناً وكَيْنُونة ؛ عن اللحياني وكراع ، والكَيْنونة في مصدر كانَ يكونُ أَحسنُ . قال الفراء : العرب تقول في ذوات الياء مما يشبه زِغْتُ وسِرْتُ : طِرْتُ طَيْرُورَة وحِدْتُ حَيْدُودَة فيما لا يحصى من هذا الضرب ، فأَما ذوات الواو مثل قُلْتُ ورُضْتُ ، فإِنهم لا يقولون ذلك ، وقد أَتى عنهم في أَربعة أَحرف : منها الكَيْنُونة من كُنْتُ ، والدَّيْمُومة من دُمْتُ ، والهَيْعُوعةُ من الهُواع ، والسَّيْدُودَة من سُدْتُ ، وكان ينبغي أَن يكون كَوْنُونة[4]

أما في الاصطلاح: اصبح مصطلح مكان "مستمد مما يستعين به في الحكم والتفسير والتقدير والتوضيح والتحليل من كل ميادين المعرفة...ثم يحاول تسليط هذه المعارف على الأدب"[5]

المنارة للاستشارات
ww

فعلماء الفيزياء: أكدوا على كون المكان متحركاً، وذلك خلاف نظرية أرسطو فيه، وأثبت هذا الرأي كل من نيوتن وأينشتاين . كما أكد أينشتاين على نسبيته.[6]

أما المكان هندسياً فهو "وسط غير محدود يشتمل على الأشياء ، وهو متصل ومتجانس لا تميز بين أجزائه، وذو أبعادٍ ثلاثة: الطول والعرض والارتفاع...وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشأ عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد هي: الطول والعرض والارتفاع والزمان"[7].

وقد اهتم الجغرافيون بالمكان فقد عرف الأمريكي (الكبو) الجغرافيا بأنها:" علم المكان من حيث خصائصه وعلاقاته"[8] وعرّفها دو لا بلاش زعيم المدرسة الجغرافية الفرنسية بأنها:" علم المكان لا الإنسان"[9]

أما المؤرخون فالمكان عندهم هو:" الجغرافيا والتاريخ معاً، أو بتعبير أدق أنه الجغرافيا مسكونة بالتاريخ"[10]

وقد اتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفياً مع الفلسفة اليونانية، ويعد أفلاطون أول من صرّح به استعمالاً، إذ عدّه حاوياً وقابلاً للشيء"[11]

والمكان عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم ، الذي يشغله الجسم ، وينفذ فيه ابعاده ويرادفه الحيز)[12].وهو عند المحدثين " وسط مثالي غير متداخل الأجزاء ، حاوٍ للأجسام المستقرة فيه محيط بكل امتداد متناه ،وهو متجانس الأقسام ، متشابه الخواص في جميع الجهات ، متصل وغير محدود[13]

من خلال ما تقدم فإن تعريف المكان يختلف من حيث اختلاف المعرفة والتخصص لذا نجد تعريفه عند الجغرافيين يختلف عن المؤرخين كما يختلف عن تعريف الفلاسفة واللغويين والمتكلمين ، عليه فلا بد لنا أن نفصل القول عن مطلق كلمة مكان وما المراد منها .

المكان المطلق والمكان النسبي:

المنارة للاستشارات
ww

المكان المطلق كما يفهم من العلماء هو ذلك المكان الذي لا يتغير ويتميز بإثبات مثل :الجبال والسهول والبحار والأنهار وغيرها من مجريات الطبيعة ،وقد عرّفه نيوتن بأنه:" المكان المطلق في طبيعته الخاصة به ،يبقى دائما مشابها لنفسه وثابتا غير متحرك[14]"

أما بالنسبة للمكان النسبي :فهو عبارة عن بعد متحرك ، أو واسطة للأماكن المطلقة التي تحددها حواسنا بواسطة وضعها بالنسبة إلى الأجسام ، يكون مكانها متنقلا أحيانا ، وثابتا أحيانا" [15]. فالمكان ثابت ومتحرك وقد وصف الشعراء كلا النوعين في شعرهم قديماً وحديثاً مثل الأطلال والجبال والوهاد والدابة والطريق إلى الممدوح والحبيبة فأجادوا في أوصافهم كلٌّ حسب ما يصف

وقد أثارت الأوصاف لواعجهم وأحزانهم وآلامهم وأحلامهم ووجدت عندهم غرضاً وهوى لذلك أطالوا فيها . فالمكان إذن ليس مجرد تاريخ أو جغرافيا أو رموز فهو يمثل أبعاداً أخرى في نفوس الشعراء .ومن هنا تبرز أهمية المكان في العمل الشعري "فالمكان الشعري يعيد خلق صورة مكان الألفة ويزيد من سطوعها وتعميقها حد انفصال الشاعر نفسه من مكان القصيدة الشعر." [16]كما أن أهمية المكان تبرز وفق الرمزية الحيوية التي أرادها له الشاعر "حيث يؤسس المكان الشعري جماعيا على وفق الطاقة الرمزية لحيوية المكان"[17]

الأمكنة في قصيدة مليط:

مليط مركز من مراكز دارفور بالسودان وتبعد عن مدينة الفاشر سبعين ميلاً تقريباً شمالاً ، ويشق مليط وادٍ عظيم يسمى وادي مليط، يأتيها من الغرب من مركز كتم، وبمليط هذه وبكتم نخيل كثير وتزرع فيها الفواكه بأنواعها وتروى بماء الآبار التي بباطن هذا الوادي وبهما خيرات حسان([18])

مطلع القصيدة أو مقدمتها من الأمور التي اهتمّ النقاد بها قديماً وحديثاً ، فهو المدخل الذي يلج الشاعر من خلاله إلى أركان قصيدته ، فحسن المدخل يجعل القارئ أكثر شراهة في التهام القصيدة والانشراح لها لأنه" أول ما يقرع السمع ويستدل على ما عنده من أول وهلة "([19])

المنارة للاستشارات
ww

وحسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح([20])و الابتداء هو أول ما يقع في السمع من القصيدة ، والدال على ما بعده ، والمتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة([21])

دعا النقاد إلى أن يكون مطلع القصيدة دالاً عليها من حيث الموضوع والغرض ،" وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر دالاً على المعنى المقصود منه هذا الكلام"([22]) كما دعوا إلى إحسان الابتداءات ، ذكر أبو هلال العسكري قوله :"قال بعض الكتّاب: أحسنوا معشر الكتّاب الابتداءات فإنّهن دلائل البيان"([23]).

ومطلع القصيدة من الأهمية بحيث جُعل مفتاحاً لها عبر تاريخ الشعر العربي الطويل، ولعل الشاعر محمد سعيد العباسي من أولئك الشعراء الذين كانوا يبرعون ويتأنقون في مطالع قصائدهم، وقد افتتح هذه القصيدة كما كان يفعل بعض الشعراء بطلب السقيا والدعاء لبلد الممدوح جاعلاً من اسم المدينة رمزاً لدار الممدوح التي صب فيها كل أشواقه وأمانيه:

حَيَّاكِ مِلّيْطُ صَوْبُ العارِضِ الغَادِي وجَادَ وَادِيكِ ذا الجنَّاتِ مِنْ وَادِ([24])

المكان المحلي:

قصيدة مليط مملوءة بذكر الأمكنة المحلية مثل: وادي مليط وكثبان الرمال والتلال وما جاورها من أحداث وأحوال وألوان، وقد جاءت لتعبر عن دلالات متعددة .

أ- (وادي مليط) وهو وادٍ فسيح يكاد يتوسط مدينة مليط يجري من الغرب إلى الشرق وتستغل أطرافه في زراعة الخضراوات والفواكه، والبساتين لها مقدرة في بث روح الشعر عند الشاعر، فقد أشار الأعشى إلى روضة جميلة في شعره:

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْمِ مُعشبةٌ خَضرَاءُ جَادَ عَلَيهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[25]

وليس ثمة شكوك في أن البساتين أمكنة تدخل البهجة وتبث الروح في نفس الشاعر مما يثير مشاعره نحو تجويد القول، ذكرت الروايات أن علي بن الجهم لما قال بيته في مدح الأمير:

أنت كالكلب في الوفاء والتيس في قراع الخطوب.

المنارة للاستشارات
ww

أرسل إلى بستان في رصافة البصرة فظل فيها وقتاً ولما عاد قال قصيدته التي يقول فيها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[26]

ب-كثبان الرمل:

كثبانكِ العُفْرُ مَا أبْهَى مَنَاظِرِها أُنْسٌ لَذِي وَحْشَةٍ رِزْقٌ لِمُرْتَادِ[27]

الكثبان العفر مكان له دلالات كبيرة في حياة العرب حيث الصحراء التي تربى فيها أسلافهم فما زالت تمثل عندهم فضاء رحب لغابر الذكريات، وكأن شاعرنا أراد أن يستعيد الماضي التليد من خلال هذا المنظر.

وتصور مدينة مليط في قصيدة الشاعر محمد سعيد العباسي وإن بدا بطلب السقيا والدعاء، فهو لا يخرج عن مقدمة بكاء الأطلال التي عمت الشعر العربي منذ نشأته ، " والمقطع الطللي تزدحم فيه العواطف والذكريات ويحضر فيه الشخوص والأحداث كما لو أنها تتحرك أمام ناظري الشاعر. فالطلل هو المكان بعينه، وحضور المكان ليس حضورا مجرّدا وإنما هو حضور لقيم أخرى تتعلق بالإنسان والحيوان والحياة والموت والحبّ الذي يمثل صورة أوليّة من صور حبّ الوطن،،[28].فشاعرنا عندما يستهل قصيدته بذكر المكان يضع في مخيلته عوالم مختلفة من حياة الناس وسبل عيشهم وأساليب معيشتهم وبداوتهم وحضارتهم ومختلف أنماط حياتهم.

وقد شكل المكان حضورا رائعاً في قصيدة مليط رسمه صورة ذاهية تعبر عن مقدرة الشاعر البارعة في رسم صوره فها هي (كثبان الرمال) قد رسمت لوحة بهية مع أشجار النخيل التي ارتفعت في أعلاها تكاد تلامس السحاب بلا أدني جهد، يقول:

كِثْبَانُكِ العُفْرُ مَا أبْهَى مَنَاظِرها أنسٌ لِذِي وَحْشةٍ رِزْقٌ لمرتادِ

فَبَاسِقُ النَّخْلِ مِلْءُ الطَّرْفِ يَلْثِمُ مِنْ ذَيْلِ السَّحَابِ بِلا كَدٍّ وإجْهَادِ

كَأنَّهُ وَرِمَالاً حَوْلَهُ ارْتَفَعَتْ أعْلَامُ جَيْشٍ بَنَاهَا فَوْقَ أطْوَادِ

المنارة للاستشارات
ww

وأعْيُنُ المَاءِ تَجْرِي مِنْ جَدَاولِها صَوَارِماً عَرَضُوهَا غَيْرَ أغْمَادِ

والوُرْقُ تَهْتِفُ والأظلالُ وارِفَـةٌ والرِّيْحُ تَـدفَعُ مَيَّـادَا لِمَيَّـادِ[29]

هذه الصورة تضج بالحركة فهي ليست مجرد مكان وإنما حركة دؤوبة من تلامس أعالي النخيل للسحاب وجريان الماء في الجداول يرسم صورة سيوف لامعة ، هذا بالإضافة إلى هتاف الحمائم على الأغصان وتمايل فروع الأشجار فهي صورة متحركة رسمت شعراً، استطاع الشاعر بمهارته أن يضفي عليها ألوان ذاهية تبدو للمستمع صورة ماثلة أمام عينيه.

المكان العام:

وهو المكان الذي يصلح أن يكون أرضاً لأي فضاء وسماء وهو مكان عام غير مخصوص بجهة محددة يتصف بالاتساع، لكن الشاعر استخدمه في معرض حديثه.

أوسع الأمكنة في حدود التصور البشري هي الدنيا، وفي القرآن الكريم ارتبط لفظ الدنيا بالفناء والانتهاء والزوال وعدم الاستقرار، ففي سورة آل عمران "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"[30] أما قوله " :متاع الحياة الدنيا" ، فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يَستمتع به في الدنيا أهلها أحياءً"[31]، ومنه قوله تعالى: تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[32] فدلالة الدنيا في الآيتين هي الفناء والزوال،: "ويسمى متاع الدنيا عرضا لأنه عارض زائل غير ثابت"[33] . استخدم محمد سعيد العباسي لفظة الدنيا بالدلالات أعلاه ، فهي زائلة، يقول عن مدينة مليط بجمالها الأخاذ وطبيعتها الساحرة:

لو استطعتُ لأهديتُ الخلودَ لها لو كان شيءٌ على (الدنيا)لإخلاد[34]

والمعنى : لو أن الدنيا تبقى لبقيت مليط خالدة على جمالها. فلأن الدنيا زائلة فجمال هذه المدينة يزول أيضاً.

المنارة للاستشارات
ww

ودلالة الدنيا عنده تشير إلى النعيم والبهجة والمرح ، غير أنه لم يكن يهتم بذلك عند فقد أعز خلانه، يقول:

ما لي وللعيد والدنيا وبهجتِها وقد مضى أمسِ أترابي وأندادي[35]

برع الشاعر في تصوير حالته من فراق أحبابه برغم الفرحة الكبرى التي عمت البشرية جمعاء وهي فرحة العيد.

فهذا الأسلوب الشعريّ يدمج الحالتين السابقة والحاضرة للدنيا في لحظة شعورية واحدة، فالإحساس هو الذي يشكّل الهيأة الجديدة للمكان، وليست حالته الحقيقية، بل الاندماج بين التخيل والحقيقة هو الذي يصنع بلاغة الأسلوب في حركيّة المكان[36]

من الأمكنة العامة التي ذكرها العباسي في قصيدته(مسْبعةً)[37] وفيها يقول:

صيّرتَه بعد ذاك الأمنِ مَسْبعةً تحمي مَرشّةَ أطيارٍ وآساد[38]

يرسم صورة لشخص آمنه ثم خانه فأصبح كمن أتي من مأمنه، وفي المثل العربي :"من مأمنه يؤتى الحذِر"[39] ففي غمرة أمانه وجد نفسه محاطاً بالشر من كل مكان كمن يسير مطمئناً فإذا هو في مسبعة كثيرة الوحوش لا يدري كيف يتصرف.

دلالة المكان العربي:

المكان في وجدان العربي له دلالات كثيرة لذلك أطالوا الوقوف على أماكنهم السابقة وسموها أطلالاً، وهو "ليس وقوفاً عادياً بل يشير إلى مجموعة من المعاني تأسست عليها حياة العرب عبر فيها الشاعر العربي عن قيم ومبادئ دافنة في نفسه ووجدانه، فكانت ، عب وسيلة تشير إلى العلاقة الحميمة التي ربطت الإنسان العربي بدياره"[40]. عليه فقد حملت بعض الأمكنة العربية دلالات خاصة في نفوس العرب جميعاً ومن هذه الأمكنة

المنارة للاستشارات
ww

أ.(بغداد) وقد ارتبط اسمها بالعلم والفكر والفن والثقافة ، "حيث عُرف أهلها بحسن المعرفة فبغدادهم كانت عروس الدنيا آنذاك إذ قصدها نوابغ وعباقرة من كل الشعوب"[41] وقد ذكرت بهذه الدلالة عند الشعراء القدامى والمحدثين، فأبو تمام يذكرها بقوله:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخواني[42]

والمتنبي يجعل منها شفاء لسقمه فهي منارة تضيئ وجه الدنيا إضاءة نجوم الليل التي تبدد الظلام، يقول:

من أسكن الشاعر الولهان موطنه بغداد أنت نجوم الليل والظلم

بغداد أنت شفاء العين من رمد بغداد أنت لقاء الله بالأمم[43]

ومحمد سعيد العباسي عندما يعود لذكرى أماكن عربية قديمة في شعره، فهو لا يقصدها لذاتها وإنما ليبثّ من خلالها عواطفه الداخلية، أو بالأحرى يتّخذها مجرد وسيلة قادرة على إثارة المعاني وإحياء الصور في نفسه. كما أن لها تأثير كبير في المتلقي في عصره. ولذلك أراد أن يحيي هذا الأسلوب ليؤثر في المتلقي ويظهر تأثير المكان في الإنسان وحياته ونظرته إلى الكون يقول في ذلك:

وليتَ شعريَ هل عَرْفَ السماحةِ ما أشمُّ أم عَرْفَ «دارينا» و«بغداد»؟

مهامهٌ غرّبني لمعُ السراب بها ومذهبٌ لم أكن فيه بنقّاد![44]

فذكره لبغداد هنا من أجل المقارنة وربط البيئات العربية ببعضها فليس ثمة اختلافات كبيرة بينهما، ومهما تكن فهي (مهامه) مليئة بالسراب صعبة المراس.

ب-المطيرة[45]

ذكرها عبد الله بن المعتز في قوله:

سَقَى المَطِيرَةَ ذَاتَ الظِّلِ والشَّجَرِ وديرَ عبدونَ هطالٌ مِن المَطَرِ

المنارة للاستشارات
ww

فطالما صبحتني للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر

أصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع نعارين للسحر[46]

فابن المعتز يدعو للمطيرة بالسقيا لأنها مكان اصطباحه الذي يقوم له بأصوات الرهبان ، ليستقل محمد سعيد العباسي هذه الصورة ويربطها بمدينة أحبابه مليط ويقول في ذلك:

أنتِ «المطيرةُ»(1) في ظلّ وفي شجرٍ فقدتِ أصواتَ رهبانٍ وعُبّاد

أُعيذ حسنَكِ بالرحمن مُبدعِهِ يا قُرّةَ العينِ من عَينٍ وحُسّاد[47]

رسم العباسي صورته على أساس التشبيه البليغ بادعاء أن المشبه هو عين المشبه به غير أنها فقدت أصوات الرهبان الذين كانوا ينعرون في دير عبدون بالمطيرة، ثم يدعو لها بالحفظ من عيون الحساد.

ج. **ذو سلم**

وهو واد ينحدر على الذنائب ...على طريق البصرة إلى مكة[48] والسلم في الأصل شجر ، وقد أكثر الشعراء من ذكره تقديساً له لأنه يقع في الطريق إلى الحرم ، ومنهم من ردد الوادي كثيرا كموطن لأحبتهم، وقد أصبح تقليداً عند الشعراء، وهو الغالب من تقليد الشعراء لبعضهم البعض أو ما يعرف بالتناص[49]

و الشعراء القدامى الذين ذكروا هذا الموضع ، الشريف الرضي الذي قال:

سهم أصاب ورامية بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك[50]

وهنا إشارة إلى بعد المسافة بين العاشقين فالأول بالعراق والآخر (بذي سلم)، فسهام الحب لا تطيش حتى إذا باعدت المسافات بينهما.

كما ورد اسم (ذي سلم) في شعر الرضي الموسوي في قوله:

أقول والشوق قد عادت عوائده لذكر عهد هوى ولّى ولم يدُمِ

المنارة للاستشارات
ww

يا ظبيةَ الأنسِ هلْ أنسٌ ألذُّ بهِ من الغَداةِ فأشفَى من جَوَى الألمِ

وهلْ أراك على وادي الأراكِ وهلْ يعُود تسليمنا يوماً بذي سلمِ[51]

ف(ذو سلم) هنا مكان التقى فيه العاشقان في وقت سالف ويتمنى الشاعر أن يتكرر اللقاء ويتم التسليم مجدداً.

ونصيب بن رباح أيضاً من الشعراء الذين ذكروا ذلك الموضع(ذو سلم) في شعرهم يقول :

وَيَوم ذي سلم شاقَتكَ نائِحَة وَرَقاء في فَنن وَالريح تَضطَرب[52]

بينما الريح تهب إذا بصوت ورقاء تبكي على فنن وقد أهاجت لواعجه في وادي (ذي سلم).

وأكثر من برع في ذكر ذي سلم من الشعراء البوصيري في البردة حين قال:

أمِنْ تَذَكُّرِ جيـرَانٍ بِـذِي سَـلَمِ مزجتَ دمعًا جرى من مقلة بدمِ

أمْ هبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلقَاءِ كاظِمَةٍ وأوْمَضَ البَرْقُ في الظلْماءِ مِنْ إضَمِ[53]

البوصيري يبكي لمجرد تذكر جيرانه بذاك المكان الذي طالما ذكره الشاعر، فما سر ذلك المكان الذي تردد ذكره حتى عند شعراء العصر الحديث؟.

من خلال التحقيق وجدنا أن هذه المنطقة معبر خلوي ليست له أهمية تجارية أو سياسية ولكن ذكره عند الشعراء لا يخلو من أمرين ، أحدهما أنه مكان تجمع البادية فهو ملتقى الأحباب لذلك كثر ذكره تيمنا واستبقاءً لذكرى المحبوب وهذا عند الشعراء العشاق مثل الشريف الرضي وغيره، أما الأمر الثاني فهو أن المكان يقع في طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد درج كثير من الشعراء تتبع طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم شعرا ، فلما صادف هذا المكان اسماً ردده الشعراء السابقين أصبح رمزاً عندهم جميعا للحب ، حب المصطفى صلى الله عليه وسلم والحب العذري الذي كان مشهوراً في تلك الأنحاء.

المنارة للاستشارات
ww

ولهذه الدلالات مجتمعة استخدم محمد سعيد العباسي اسم هذا الموضع (ذي سلم) حين قال:

أستودع اللهَ ساداتٍ فقدتُهمُ حدا بهم، حيث لا ألقاهُمُ الحادي

تحيّةُ اللهِ يا أيامَ (ذي سَلَمٍ) أيامَ لم نخشَ بأسَ القاهرِ العادي[54]

فهو في إطار ذكره لأحبابه المصريين الذين أجلتهم الحكومة الإنجليزية من السودان بعد أحداث 1924م وذكر أيام الأنس والسعادة التي كانت بينهم وصف تلك الأيام وشبهها بأيام (ذي سلم) التي طالما جمعت المحبين قبله وجمعت حب الشعراء لأثر نبيهم عليه الصلاة والسلام. ويجيب العباسي نفسه عن تساؤلنا لماذا استخدم هذه المفردات ذات الدلالة العربية القديمة في شعره بقوله:

مهامهٌ غرّني لمعُ السراب بها ومذهبٌ لم أكن فيه بنَقّاد!

فحبه لتلك المهامه وما يلمع فيها من سراب ومذهب الشعراء في ذكر أيامهم وماضيهم وأحيائهم ومرابع حبهم هو الذي قاده لكل ذلك حتى إن لم يكن مؤمناً بهذا الاتجاه.

وهذا المذهب لم يدع الشاعر يكتفي بذكر المواضع القديمة فقط بل حتى الأسماء ومن ذلك قوله:

يا سعدُ (سعدُ بني وهبٍ[55])أرى ثمراً فـجُدْ فـديتُكَ للعافي بعِنْقاد

وإنّ في بعض ما قد عافَ شارِبُكم إعتابَ ذي الفضلِ (يحيى) و(ابنِ عبّاد)[56]

وسعد بن وهب المذكور هو أحد اثنين أحدهما :أما أن يكون سعد بن وهب من بني النضير وقد أسلم وذكره صاحب أسد الغابة في قوله:" سعد بْن وهب من بني النضير، ذكره ابن عباس في تفسير سورة الحشر، قال: لم يسلم من بني النضير إلا رجلان، أحدهما سفيان بْن عمير، والثاني سعد بْن وهب، أسلما عَلَى أموالهما، فأحرزاها[57]."

وأما الآخر فهو سعد بن وهب سعد بْن وهب الجهني روى ابن أَبِي أويس... كان يسمى في الجاهلية غيان، وكان أهله حين أتى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبايعه، ببلد من بلاد جهينة،

المنارة للاستشارات
ww

يقال له: غواء، فسأله رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اسمه، وأين ترك أهله؟ فقال: اسمي غيان، وتركتهم بغواء، فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بل أنت رشدان، وأهلك برشاد "، قال: فتلك البلدة تسمى إِلَى اليوم رشادًا، ويدعى الرجل رشدان وذكر ابن الكلبي، قال: بنو غيان في الجاهلية قدموا عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: " من أنتم؟ " قَالُوا: نحن بنو غيان، فقال: " بل أنتم بنو رشدان "، فغلب عليهم، وكان واديهم يسمى غويًا، فسمى رشدًا[58].

أما ابن عباد المشار إليه فهو كذلك أحد اثنين أما : الصاحب بن عباد (16 ذي القعدة 326 هـ = 14 أكتوبر 938م - 24 صفر 385هـ = 30 مارس 995م) وزير في الدولة البويهية وأديب مرموق.أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي[59].

وأما الآخر فهو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمي أبو القاسم المُلَقّب بالمعتمد على الله[60]. ينتمي المعتمد بن عباد إلى أسرة بني عباد، وهم سلالة عربية تعود أصولها إلى مدينة العريش في شبه جزيرة سيناء بإقليم الشام، وهم يُنسبون إلى النعمان بن المنذر حاكم الحيرة قبل النبوة. قدم جد بني عباد إلى الأندلس مع طالعة بلج في بداية القرن الثاني الهجري. وفي مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، استقلَّ أبو القاسم محمد بن عباد اللخمي بإشبيلية، فبرع في الفقه والقضاء، وحكم إشبيلية لفترة، ثم خلفه فيها ابنه أبو عمرو المعتضد عباد، وأخيراً حفيده المعتمد[61]

فهذه الأسماء ولدورها وأثرها في أقوامها ربما أعجب بها محمد سعيد العباسي ورمز إلي أشخاص في عصره بها، ويرجح الباحث أن يكون ابن عباد المذكور هو المعتمد بن عباد لأنه آخر ملوك بني الأحمر في الأندلس وقد أسر وطرد المسلمون بعده من الأندلس، وشاعرنا في الأبيات يتحدث عن إجلاء القوات المصرية من السودان فربما هناك تشابه في الموقف.

دلالة المكان النيلي:

المنارة للاستشارات
ww

أ-النيل : مجري مائي كبير يربط السودان ومصر وقد تغنى له شعراء البلدين كثيراً وهو مصدر الثراء والغنى والأمان عندهم وكانت بعض التيارات السياسية قد نادت بوحدة السودان ومصر فيما عرف بوحدة وادي النيل ومن هنا أخذ النيل دلالة الوحدة بين الشعبين. يقول العباسي مستخدماً هذه الدلالة:

هوًى إلى (النيل) يُصبيني، وساكنُهُ أُجلّه اليومَ عن حصرٍ وتَعداد[62]

فحبه إلى النيل يزيد صبابته واحترامه لساكني النيل على أطلاقهم دون تمييز.

ب-وادينا: ويقصد به وادي النيل أيضاً بالدلالة السابقة نفسها، يقول في ذلك:

وما رمى الدهرُ وادينا بداهيةٍ مثل الأليمين: تفريقٍ وإبعاد[63]

فدلالة (وادينا) في البيت أعلاه تحمل دلالة (النيل) في البيت السابق والمقصود بها وادي النيل الذي يضم مصر والسودان.

ج-دارينا: يقصد الشاعر بالدارين مصر والسودان وهي تحمل الدلالة السابقة للنيل ووادينا، وذلك من خلال قول العباسي:

وليتَ شعريَ هل عَرْفَ السماحةِ ما أشمُّ أم عَرْفَ «دارينا» و«بغداد»؟[64]

يقول الشاعر ليتني أعلم هل رائحة السماحة هي التي أشمها بأنفي أم التي أعرفها عن أهل وادي النيل والعراق، واستفهامه هنا لإثبات السماحة لأهل النيل والعراق والمراد بهما العروبة جميعاً.

د-النادي: هو المنتدى أي المكان الذي يتنادى فيه القوم وقد أخذ دلالات إضافية فأصبح المكان الذي تسامر فيه الأحباب شعراً، يقول العباسي:

فإن جرى ذكرُ أربابِ السماحةِ أو نادى الكرامُ فإنا بهجةُ النادي[65]

المنارة للاستشارات
ww

فالشاعر يفخر بنفسه وأهله ويقيم نفسه مقام العارفين بالشعر والعلم فهو أمامهم وزعيمهم وبهجتهم.

الهوامش

[1] - محمد سعيد العباسي، ديوان العباس، دار البلد-الخرطوم، ط2، 1999م، ص11

[2] -محمد الواثق، الشعر السوداني في القرن العشرين آراء وقصائد مختارة، مطبعة جامعة الخرطوم، ط1 ،2009م، ص56

[3] -حمد النيل محمد الحسن، الأدب في العصر الحديث (تاريخه–مدارسه-مذاهبه-سماته)، دار جامعة الخرطوم للنشر ،2013م ، ص 62

[4] -ابن منظور الإفريقي، لسان العرب

5-إحسان عباس، فن الشعر ،ص174

[6] -العلم فلسفة،ص62-63

[7] -المعجم الفلسفي،ص191

[8] -صفوح خير: الجغرافيا موضوعها ومناهجها وأهدافها، ص54

[9] - المصدر السابق والصفحة

[10] - شوقي بغدادي: جماليات المكان الدمشقي-رواية حسيبة أنموذجا ، مجلة عمان ع34 كانون الثاني1988م، ص5

[11] - نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص19

[12] - المكان ظاهرة. : ص12

[13] - كتاب التعريفات : ص 256

[14] --موسوعة الفلسفة. : 462

[15] -المصدر السابق ص463

[16] - المكان في النص المسرحي ص121

[17] -المكان في النص المسرحي ص20

[18] - محمد سعيد العباسي: ديوان العباسي، دار الفكر العربي ص33

[19] - العمدة ، 218/1

[20] -المصدر السابق، 217/1

[21] -عبد الله الحامد الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مطابع الإشعاع التجارية-الرياض،ص186

[22] -ابن الأثير المثل السائر ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة ، 96/3

[23] - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية –بيروت ط1 ، 1401هـ -1981م ص489

[24] - ديوانه ص46

[25] -ديوان الأعشى، ص57

[26] -محمد حسين الدباء، الخميس 4 أبريل2019/قصة عيون المها/www.alayyam.infoLnewsL

[27] -ديوانه ، ص 33

المنارة للاستشارات
ww

[28] - نجود هاشم الربيعي، تطوّر دلالة المكان في الشّعر العربيّ الحديث
[29] -ديوانه، ص 33
[30] سورة آل عمران الآية 14
[31] -الطبري' تفسير الطبري،ص258
[32] -سورة النساء الآية94
[33] -القرطبي، تفسير القرطبي،57
[34] -ديوانه ص 33
[35] -ديوانه ص 35
[36] -. نجود هاشم الربيعي ، تطوّر دلالة المكان في الشّعر العربيّ الحديث(مصدر سابق)
[37] - المَسْبَعَةُ : الأَرضُ الكثيرةُ السِّباع
[38] -ديوانه ص35
[39] -الميداني، مجمع الأمثال،ص310
[40] .-د عمار بن لقريشي و معمري فواز ، دلالة المكان في الشعر الجاهلي (بحث)
[41] -اللامي، علاء، نصوص مضادة: دفاعا عن العراق- الشعب، الوطن والهوية، بغداد: جمعية بغداد المشاعية، 2000
[42] -أبو تمام، ديوانه ص333
[43] -خالد منتصر، بكائيات على فراق العراق2014/6/16م،الوطنwww.n.elwatannews.com
[44] -ديوانه ص35
[45] -جزيرة ببغداد كان بها قصر لأمير المؤمنين عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي.
[46] -ابن المعتز ، ديوانه، ص4
[47] -ديوانه ص 33
[48] -ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر-بيروت،1397هـ-1993م المجلد الثالث ،ص 240
[49] -عابد خزندار، صحيفة الرياض،الجمعة 20 ذو الحجة 1434 هـ - 25 اكتوبر 2013م - العدد 16559
[50] -الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر–بيروت 1961م،ص107
[51] -ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 240/3
[52] -نصيب بن رباح، ديوانه ص
[53] -البوصيري، ديوان البوصيري ص
[54] -ديوانه ص 35-36
[55] -سعد بن وهب ويحي وابن عباد أسماء مستعارة أتى بها الشاعر عن طريق التجريد والرمز
[56] -ديوانه ص35
[57] -ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم-بيروت، ط1، 1433هـ-2012م، ص481
[58] -المصدر السابق والصفحة
[59] -الذهبي ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة،511/16
[60] -الإحاطة في أخبار غلرناطةص182
[61] -الذهبي، سير أعلام النبلاء ، 58/19
[62] -ديوانه ص34

المنارة للاستشارات
ww

[63] -ديوانه ص36

[64] -ديوانه ص35

[65] -ديوانه ص 36

قائمة المصادر والمراجع:

1-إحسان عباس، فن الشعر، الجامعة الأمريكية بيروت، دار صادر-بيروت دار الشروقعمان-الأردن،ط1 ،1996م.

2-الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، المكتبة الشاملة الحديثة.

3-بدر نايف الرشيدي، صورة المكان الفنية في شعر السقاف ،رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الشرق الأوسط، 2011-2012م.

4-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني؛ الجزء الأول.

5-أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام ، تحقيق محي الدين الخياط، ، نظارة المعارف العمومية.

6-ابن رشيق القيرواني، الحسن *بن رشيق*: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل-بيروت، ط5 ،1981م، الجزء الأول.

7-أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1401هـ -1981م

8-حسن الربابعة: المكان ظاهرة، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع-عمان.

9-حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد،1987م

10- حمد النيل محمد الحسن، الأدب في العصر الحديث (تاريخه–مدارسه-مذاهبه-سماته)، دار جامعة الخرطوم للنشر ،2013م

11-خالد منتصر، بكائيات على فراق العراق2014/6/16م،الوطنwww.n.elwatannews.com

12- الزين الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

13-الدليمي، سمير علي ، .المكان في النّص المسرحي ، دارالكندي للنشر والتوزيع ،اربد ، الأردن1998م.

14- الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر–بيروت 1961م

المنارة للاستشارات
ww

15- القرطبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القران، مؤسسة الرسالة،ج5، 2006م.

16-شوقي بغدادي ، جماليات المكان الدمشقي-رواية حسيبة أنموذجا ، مجلة عمان ع34 كانون الثاني1988م،

17-صفوح خير: الجغرافيا موضوعها ومناهجها وأهدافها، دار الفكر.

18- عابد خزندار، صحيفة الرياض، الجمعة 20 ذو الحجة 1434 هـ - 25 اكتوبر 2013م - العدد 16559

19- ابن المعتز، عبد الله، ديوان ابن المعتز، مطبعة الأقبال -بيروت لبنان.

20- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، مطابع الإشعاع التجارية-الرياض.

21- علاء اللامي، نصوص مضادة: دفاعا عن العراق- الشعب، الوطن والهوية، بغداد: جمعية بغداد المشاعية، 2000

22- عمار بن لقريشي ومعمري فواز، دلالة المكان في الشعر الجاهلي (بحث)

23-غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد11 العدد2.

24-فليب فرانك، العلم فلسفة-الصلة بين العلم والفلسفة، ترجمة أ.د علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت ،ط1 ، 1983م.

25-لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، 1424هـ

26- الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة،

27- الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية،ط2،ج6

28-البوصيري محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، ديوان البوصيري

29- ابن منظور الإفريقي: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف -مصر

30- محمد حسين الدباء، الخميس 4 أبريل2019/قصة عيون المها/www.alayyam.infoLnewsL

31- محمد سعيد العباسي، ديوان العباس، دار البلد-الخرطوم، ط2، 1999م،

32- محمد الواثق، الشعر السوداني في القرن العشرين آراء وقصائد مختارة، مطبعة جامعة الخرطوم، ط1 ،2009م،

المنارة للاستشارات
ww

33- الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى.

34- نجود هاشم الربيعي، تطوّر دلالة المكان في الشّعر العربيّ الحديث

35- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1433هـ-2012م

36- ابن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المثل السائر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة

37- نصيب بن رباح، ديوان نصيب، تحقيق داود بن سلوم، طبعة الإرشاد.

38- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر-بيروت،1397هـ-1993م المجلد الثالث

المنارة للاستشارات
ww